(٢)

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب).

ش: أي: ولا عذاب. قلت: تحقيقه: تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

قال المصنف رحمه تعالى: (قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]).

ش: وصف إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد:

الأولى: أنه كان أمة، أي: قدوة وإمامًا ومعلمًا للخير. وما ذاك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين اللذين تُنال بهما الإمامة في الدين.

الثانية: قوله: ﴿قَانِتًا﴾ قال شيخ الإسلام: القنوت: دوام الطاعة، والمصلي إذا طال قيامه أو ركوعه وسجوده فهو قانت. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] انتهى. ملخصًا.

الثالثة: أنه كان حنيفًا.

قلت: قال العلامة ابن القيم: الحنيف: المقبل على الله، المُعرِض عن كل ما سواه. انتهى.

الرابعة: أنه ما كان من المشركين، أي لصحة إخلاصه وكمال صدقه، وبُعده عن الشرك.

قلت: يوضح هذا قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] أي: على دينه من إخوانه المرسلين، قاله ابن جرير رحمه الله تعالى.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وذكر تعالى عن خليله عليه السلام أنه قال لأبيه آزر: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨-٤٩].

فهذا هو تحقيق التوحيد، وهو البراءة من الشرك وأهله واعتزالهم، والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم. فالله المستعان.

قال المصنف رحمه الله تعالى في هذه الآية: (﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠] لا للملوك ولا للتجار المترفين ﴿حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠] لا يميل يمينًا ولا شمالاً، كفعل العلماء المفتونين ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] خلافا لمن كثّر سوادَهم وزعم أنه من المسلمين. انتهى).

وقد روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] على الإسلام. ولم يكن فى زمانه أحد على الإسلام غيره.

قلت: ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم: من أنه كان إمامًا يُقتدى به فى الخير.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]).

ش: وصف المؤمنين السابقين إلى الجنة فأثنى عليهم بالصفات التى أعظمها: أنهم بربهم لا يشركون، ولما كان المرء قد يَعرض له ما يقدح فى إسلامه: من شرك جلي أو خفي، نفى ذلك عنهم، وهذا هو تحقيق التوحيد، الذي حسُنت به أعمالهم وكملت ونفعَتْهم.

قلت: قوله: (حسنت وكملت)، هذا باعتبار سلامتهم من الشرك الأصغر، وأما الشرك الأكبر فلا يقال فى تركه ذلك، فتدبر. ولو قال الشارح: صحت. لكان أقوم.

قال ابن كثير: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩] أي لا يعبدون مع الله غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا وأنه لا نظير له.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن فى صلاة ولكني لُدغت، قال: فماذا صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحُصَيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حُمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عُرضت عليّ الأمم، فرأيت النبى ومعه الرهط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد. إذ رُفع لى سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب». ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا

رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا فى الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «هم الذين لا يسْتَرقُون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». فقام عُكّاشة بن مِحصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم. قال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك بها عكاشة» (١).

ش: هكذا أورده المصنف غير معزو، وقد رواه البخارى مختصرًا ومطولاً، ومسلم، واللفظ له، والترمذي والنسائي.

قوله: (عن حصين بن عبد الرحمن) هو السُّلمي، أبو الهُذيل الكوفي، ثقة، مات سنة ست وثلاثين ومائة، وله ثلاث وتسعون سنة.

وسعيد بن جبير: هو الإمام الفقيه من جلة أصحاب ابن عباس، روايته عن عائشة وأبي موسى مرسلة. وهو كوفي مولى لبني أسد، قُتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يُكمل الخمسين.

قوله: (انقض) هو بالقاف والضاد المعجمة أى: سقط. والبارحة: هى أقرب ليلة مضت. قال أبو العباس ثعلب: يقال قبل الزوال: رأيت الليلة، وبعد الزوال: رأيت البارحة، وكذا قال غيره، وهى مشتقة من برح: إذا زال.

قوله: (أما إني لم أكن فى صلاة) قال فى «مغنى اللبيب»: أما -بالفتح والتخفيف- على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف استفتاح بمنزلة (ألا) فإذا وقعت «أن» بعدها كُسرت.

الثانى: أن تكون بمعنى حقًّا أو أحقًّا.

وقال آخرون: هى كلمتان: الهمزة للاستفهام، وما اسم بمعنى: شيء، أى أذلك الشيء حق، فالمعنى أحق هذا؟ وهو الصواب.

وموضع (ما) النصب على الظرفية، وهذه تُفتح «أن» بعدها. انتهى.

والأنسب هنا هو الوجه الأول.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: من اكتوى أوكوى غيره وفضل من لم يكتو، حديث (٥٧٠٥) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث (٢٢٠)، واللفظ له، والترمذي، حديث (٢٤٤٦)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٧٨)، حديث (٧٦٠٤).

والقائل هو حصين، خاف أن يظن الحاضرون أنه رآه وهو يصلي، فنفى عن نفسه إيهام العبادة، وهذا يدل على فضل السلف وحرصهم على الإخلاص وبُعدهم عن الرياء والتزين بما ليس فيهم.

قوله: (ولكني لُدغت) بضم أوله وكسر ثانيه، قال أهل اللغة: يقال: لدغته العقرب وذوات السموم، إذا أصابته بسمها، وذلك بأن تأبره بشوكتها.

قوله: (قلت: ارتقيت) لفظ مسلم (استرقيت) أي طلبت من يرقيني.

قوله: (فما حملك على ذلك؟) فيه طلب الحجة على صحة المذهب.

قوله: (حديث حدثناه الشعبي) اسمه: عامر بن شُراحيل الهمداني ولد في خلافة عمر، وهو من ثقات التابعين وفقهائهم مات سنة ثلاث ومائة.

قوله: (عن بريدة) بضم أوله وفتح ثانيه تصغير بُردة. ابن الحصيب - بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين - ابن الحارث الأسلمي، صحابي شهير. مات سنة ثلاث وستين. قاله ابن سعد.

قوله: (لا رقية إلا من عين أو حمة) وقد رواه أحمد وابن ماجه عنه مرفوعًا [١]. ورواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عمران بن حصين به مرفوعًا [٢] قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات.

والعين: هي إصابة العائن غيره بعينه. والحمة - بضم المهملة وتخفيف الميم - سم العقرب وشبهها.

قال الخطابي [٣]: ومعنى الحديث: لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة. وقد

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الطب، باب: ما رخص فيه من الرقي، حديث (٣٥١٣)، ولم أجده في مسند الإمام أحمد من حديث بريدة، وأخرجه (٤/ ٤٣٦) من حديث عمران بن حصين. وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧٤٩٦)، المشكاة (٤٥٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في تعليق التمائم، حديث (٣٨٨٤)، والترمذي، حديث (٢٠٥٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٣٦)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧٤٩٦)، المشكاة (٤٥٥٧).

(٣) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي أبو سليمان الخطابي، فقيه، محدث، أديب، لغوي، شاعر. ولد بمدينة بست من بلاد كابل عاصمة المملكة الأفغانية. وسمع الحديث بمكة وبالبصرة وببغداد. صاحب معالم السنن في شرح سنن أبي داود. وله أيضًا: بيان إعجاز القرآن، إصلاح غلط المحدثين، وغريب الحديث، شرح البخاري. توفي رحمه الله سنة (٣٨٨هـ). انظر: الأعلام (٢/ ٢٧٣).

رَقى النبى ﷺ ورُقي.

قوله: (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) أى: من أخذ بما بلغه من العلم، وعمل به فقد أحسن بخلاف من يعمل بجهل، أو لا يعمل بما يعلم فإنه مسيء آثم. وفيه: فضيلة علم السلف وحسن أدبهم.

قوله: (ولكن حدثنا ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ. دعا له فقال: «**اللهم فقهه فى الدين، وعلّمه التأويل**»[1] فكان كذلك. مات بالطائف سنة ثمان وستين.

قال المصنف رحمه الله: (وفيه عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا. فعُلم أن الحديث الأول لا يخالف الثانى).

قوله: (عُرضت عليّ الأمم) وفى الترمذي والنسائي من رواية عَبْثر بن القاسم عن حصين بن عبد الرحمن أن ذلك كان ليلة الإسراء[2] قال الحافظ: فإن كان ذلك محفوظًا كان فيه قوة لمن ذهب إلى تعدد الإسراء، وأنه وقع بالمدينة أيضًا.

قلت: وفي هذا نظر.

قوله: (فرأيت النبي ومعه الرهط) والذي فى صحيح مسلم: «**الرهيط**» بالتصغير لا غير، وهم الجماعة دون العشرة، قاله النووي.

قوله: (والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد) فيه الرد على من احتج بالكثرة.

قوله: (إذ رفع لي سواد عظيم) المراد به هنا: الشخص الذى يُرى من بعيد.

قوله: (فظننت أنهم أمتى) لأن الأشخاص التى تُرى فى الأفق لا يُدرك منها إلا الصورة. وفى صحيح مسلم «**ولكن انظر إلى الأفق**» ولم يذكره المصنف، فلعله سقط فى الأصل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٦٦)، حديث (٢٣٩٧)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٣)، حديث (١٠٦١٤)، والأوسط (٢/ ١١٢)، حديث (١٤٢٢)، والصغير (١/ ٣٢٧)، حديث (٢٥٤٢)، والمقدسي في المختارة (١٠/ ١٦٩)، حديث (١٦٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٥)، حديث (٦٢٨٠) من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة فوضعتُ له وَضُوءًا من الليل قال: فقالت ميمونة: يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال: -اللهم فقهه. .- الحديث. وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٢٥٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقاق والورع، باب: ما جاء في صفة أواني الحوض، حديث (٢٤٤٦) وهو صحيح، وانظر صحيح الترمذي.

الذى نقل الحديث منه . والله أعلم .

قوله : (فقيل لى : هذا موسى وقومه) أي : موسى بن عمران كليم الرحمن ، وقومه : أتباعه على دينه من بني إسرائيل .

قوله : (فنظرتُ فإذا سواد عظيم فقيل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) أي : لتحقيقهم التوحيد .

وفى رواية ابن فُضيل : (ويدخل الجنة من هؤلاء من أمتك سبعون ألفًا) وفى حديث أبي هريرة فى الصحيحين : «**أنهم تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**» [١] .

وروى الإمام أحمد والبيهقي فى حديث أبى هريرة : «**فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا**» [٢] قال الحافظ : وسنده جيد .

قوله : (ثم نهض) أي : قام .

قوله : (فخاض الناس فى أولئك) هذا من العام الذي أريد به الخصوص ، أي : جملة الحاضرين ، خاض بالخاء والضاد المعجمتين .

وفى هذا : إباحة المناظرة والمباحثة في نصوص الشرع على وجه الاستفادة وبيان الحق .

وفيه : عمق علم السلف لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل .

وفيه : حرصهم على الخير ، ذكره المصنف .

قوله : فقال : «**هم الذين لا يسترقون**» هكذا ثبت فى الصحيحين وهو كذلك فى حديث ابن مسعود فى (مسند أحمد) [٣] . وفى رواية لمسلم «**لا يرقون**» [٤] .

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى** : هذه الزيادة وهْمٌ من الراوي ، لم يقل النبى ﷺ «**لا يرقون**» وقد قال النبي ﷺ وقد سئل عن الرقى : «**من استطاع منكم أن**

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : اللباس ، باب : البرود والحبرة والشملة ، حديث (٥٨١١) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٢١٦) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩) ، حديث (٨٦٩٢) ، وابن منده في الإيمان (٢/ ٨٩٥) ، حديث (٩٧٦) ، وهو صحيح ، وانظر الصحيحة (٢١٧٩) ، صحيح الترغيب (٣٦١٤) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٥٤) ، حديث (٤٣٣٩) .

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٢٢٠) . وقد أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الرواية أعني- قوله : -ولا يرقون- وبين أنها غلط من بعض الرواة ، وقال الألباني : منكر بهذا اللفظ ، وانظر الضعيفة (٣٦٩٠) .

ينفع أخاه فلينفعه» [١].

وقال: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا» [٢]، قال: وأيضًا فقد رقى جبريل النبي ﷺ [٣] ورقى النبي ﷺ أصحابه [٤].

قال: والفرق بين الراقي والمسترقي: أن المسترقي سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن!

قال: وإنما المراد: وصفُ السبعين ألفًا بتمام التوكل، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم. وكذا قال ابن القيم.

قوله: (ولا يكتوون) أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم؛ استسلامًا للقضاء، وتلذذًا بالبلاء.

قلت: والظاهر أن قوله: «لا يكتوون» أعم من أن يسألوا ذلك أو يُفْعل بهم ذلك باختيارهم، أما الكي في نفسه فجائز، كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ بعث إلى أُبيّ بن كعب طبيبًا فقطع له عرقًا وكواه [٥].

وفي صحيح البخاري عن أنس: (أنه كُوي من ذات الجنب والنبي ﷺ حي) [٦].

وروى الترمذي وغيره عن أنس: (أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زُرارة من الشوكة) [٧].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة، حديث (٢١٩٩)، من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك، حديث (٢٢٠٠) وأبو داود، حديث (٣٨٨٦) من حديث عوف بن مالك الأشجعي.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقي، حديث (٢١٨٦)، والترمذي، حديث (٩٧٢)، وابن ماجه، حديث (٣٥٢٣) من حديث أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال يا محمد أشتكيت؟ فقال: نعم. قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: رقية النبي ﷺ، حديث (٥٧٤٥)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة، حديث (٢١٩٤) من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول للمريض: -بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ر بنا-.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي، حديث (٢٢٠٧)، وأبو داود، حديث (٣٨٦٤)، وابن ماجه، حديث (٣٤٩٣).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: ذات الجَنْبِ، حديث (٥٧٢١).

(٧) أخرجه الترمذي، كتاب: الطب، باب: ما جاء في الرخصة في ذلك، حديث (٢٠٥٠) من حديث أنس بن مالك. وهو صحيح، وانظر صحيح الترمذي.

وفي صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعًا: «**الشفاء فى ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي**»[١]. وفى لفظ: «**وما أحب أن أكتوى**»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: قد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع:

أحدها: فعله. والثانى: عدم محبته. والثالث: الثناء على من تركه. والرابع: النهي عنه.

ولا تعارض بينها بحمد الله، فإن فعله له يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة.

قوله: (ولا يتطيرون) أي لا يتشاءمون بالطيور ونحوها. وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان الطيرة وما يتعلق بها فى بابها.

قوله: (وعلى ربهم يتوكلون) ذكر الأصلَ الجامع الذى تفرعت عنه هذه الأفعال والخصال وهو التوكل على الله، وصدقُ الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، الذي هو نهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف: من المحبة والرجاء والخوف، والرضا به ربًّا وإلهًا، والرضا بقضائه.

واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يُباشرون الأسباب أصلاً، فإن مباشرة الأسباب فى الجملة أمر فطري ضروري، لا انفكاك لأحد عنه، بل نفس التوكل: مباشرة لأعظم الأسباب كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق:٣] أي: كافيه.

وإنما المراد: أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها؛ توكلاً على الله تعالى، كالاكتواء والاسترقاء، فتركُهم له لكونه سببًا مكروهًا، لا سيما والمريض يتشبث -فيما يظنه سببًا لشفائه- بخيط العنكبوت.

وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه، فغير قادح فى التوكل، فلا يكون تركه مشروعًا؛ لما فى الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الشفاء في ثلاث، حديث (٥٦٨٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الدواء بالعسل، وقوله الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[النحل:٦٩] حديث (٥٦٨٣)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي، حديث (٢٢٠٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، حديث (٥٦٧٨) دون قوله:

وعن أسامة بن شَريك قال: كنت عند النبى ﷺ وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: **«نعم. يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء، غير داء واحد»**. قالوا: وما هو؟ قال: **«الهرَم»** [١] رواه أحمد.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع ألم الجوع والعطش، والحر والبرد بأضدادها بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله تعالى مقتضية لمسبَّباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح فى نفس التوكل، كما يقدح فى الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى فى التوكل.

فإنَّ ترْكها عجز ينافي التوكل الذى حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه، ودفع ما يضره فى دينه ودنياه. ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزًا.

وقد اختلف العلماء فى التداوي: هل هو مباح، وتركه أفضل، أو مستحب أو واجب؟

فالمشهور عند أحمد: الأول؛ لهذا الحديث وما في معناه، **والمشهور عند الشافعية**: الثاني، حتى ذكر النووي [٢] فى شرح مسلم أنه مذهبهم ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف.

واختاره الوزير أبو ظفر. قال: ومذهب أبي حنيفة أنه مؤكد حتى يُداني به الوجوب. قال: ومذهب مالك أنه يستوي فعلُه وتركه. فإنه قال: لا بأس بالتداوي ولا بأس بتركه.

وقال شيخ الإسلام: ليس بواجب عند جماهير الأئمة وإنما أوجبه طائفة قليلة من

-علمه من علمه وجهله من جهله- وهذه الزيادة عند أحمد في مسنده (١/ ٣٧٧)، حديث (٣٥٧٨)، وأبي يعلى في مسنده (٩/ ١١٣)، حديث (٥١٨٣)، والطبراني في الأوسط (٧/ ١٢١)، حديث (٧٠٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢١٨)، حديث (٧٤٢٤) من حديث ابن مسعود. وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٤٥١).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الرجل يتداوي، حديث (٣٨٥٥)، والترمذي، حديث (٢٠٣٨)، وابن ماجه، حديث (٣٤٣٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٧٨) وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٩٣٠)، المشكاة (٤٥٣٢).

(٢) هو: الإمام الحافظ محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي النووي الشافعي، ولد سنة (٦٣١هـ) بنوى. وكان سيدًا وحصورًا وزاهدًا، وأستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين، له تصانيف كثيرة، منها: شرح صحيح مسلم، روضة الطالبين، المجموع شرح المهذب - ولم يكمله. توفي رحمه الله سنة (٦٧٦هـ) بنوى من قرى حوران بسورية.

أصحاب الشافعي وأحمد .

قوله : (فقام عكّاشة بن مِحصن) هو (بضم العين وتشديد الكاف)، ومحصن (بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين) ابن حرثان - (بضم المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة) الأسدي : من بني أسد بن خزيمة . كان من السابقين إلى الإسلام ومن أجمل الرجال، هاجر وشهد بدرًا وقاتل فيها، واستشهد فى قتال الردة مع خالد بن الوليد بيد طليحة الأسدي سنة اثنتى عشرة، ثم أسلم طليحة بعد ذلك وجاهد الفرس يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، واستشهد في وقعة الجسر المشهورة .

قوله : (فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال : «**أنت منهم**» وللبخاري فى رواية : فقال : «**اللهم اجعله منهم**» وفيه : طلب الدعاء من الفاضل .

قوله : (ثم قام رجل آخر) ذكره مبهمًا فلا حاجة بنا إلى البحث عن اسمه .

قوله : (فقال : «**سبقك بها عكاشة**») قال القرطبي : لم يكن عند الثانى من الأحوال ما كان عند عكاشة، فلذلك لم يجبه ؛ إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك كل من كان حاضرًا فيتسلسل الأمر، فسد الباب بقوله ذلك . انتهى .

قال المصنف رحمه الله تعالى : وفيه : استعمال المعاريض وحسن خلقه ﷺ .